قضايا ثقافية

الباطن والمعرفة ٣
عناصر الحق

مسار الايزوتيريك يبدأ من الداخل الانساني نحو الخارج العالي، او من الباطن المعرفي نحو الظاهر العلمي.

لماذا يجب ان يبدأ المسار من الداخل الى الخارج؟

ليكون البحث متكاملاً. فأنت حين ترسم دائرة، تبدأ بتعيين مركزها اولاً. بعدها تنطلق الى محيطها.

وحين تريد ان تضع معادلة علمية، تحدد معطياتها قبلا، اي انك تحدد «العناصر المشاركة» في هذه المعادلة. بعدها ترسم شكلها الخارجي الذي يحدد علاقة هذه العناصر بعضها ببعض. لكن ينبغي عليك ان تعرف قبلا كل عنصر من هذه العناصر حق المعرفة، وتدرك خصائصه.

وحين ترغب في التعرف الى شخص ما، لا يكفيك ان تعرف اسمه او تحفظ شكله... بل انت تتعرف الى نوع عمله، وطبيعة علاقاته مع الآخرين. لأن عمله وعلاقاته تنم عن صفات شخصيته وتكشف خصائص ذاتية تختلف من شخص الى آخر!

وحين تتحدث عن امرىء، لا تذكر عدد خلاياه، او شكل ملامحه او لون شعره، بل تتحدث عن صفاته الانسانية... ولا تتحدث عن جيناته الوراثية، بل عن الخصائص التي اكتسبها من والديه ومن خبرته الحياتية.

ما هو الباطن، ولماذا هو الاصل؟

حين تفهم الاشياء، تفهمها من منطلق وعيك انت، لا من منطلق الوعي العام الخارجي... اي انك انت محور الفهم.

وحين تحدد موقفك او رأيك من اشخاص آخرين، تقارنهم بنفسك وتدرس حالتك النفسية من خلال علاقتك بهم... أي ان نفسك تكون محور الرأي او الموقف.

حين تزرع بذرة في التربة، تخبر وتنمو وتصبح شجرة تتكاثر ثمارها... اي ان البداية كانت في بذرة واحدة، كانت هي محور وجود الشجرة!

النمو يتمدد من نقطة، او ذرة واحدة، ثم ينتشر في كل اتجاه. اما محور وجوده، فمركز انطلاقه!

الوجود ككل بدأ من خالق واحد، من محور الوجود الكلي! حين تفكر في ابتداع شيء ما، او حتى في كتابة رسالة، تولد هذه الفكرة في داخلك اولاً، ثم تجسدها خارج ذاتك.

اذن، لكل شيء في هذا الوجود محور واحد، او نقطة ارتكاز او مركز وجود، يبدأ وجوده التوسعي او الفعلي منه.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه، هل ادراك هذا المحور او المركز سيقدم لنا معرفة الوجود ككل، ام ان العكس هو الصحيح؟ بمعنى، هل يجب علينا فهم المركز لنفهم الدائرة ككل، ام اننا سنفهم المركز بعد ان نفهم الدائرة؟ بتعبير آخر، هل نستطيع فهم نفوسنا قبل فهم العالم، ام ان فهم العالم يجب ان يسبق معرفة النفس؟

* * *

هنا، تتضارب الاراء وتتناقض. فالايزوتيريك يقول بأن كلا الدربين ناقص. كما ان كليهما طويل جدا تتطلب المسيرة عليهما مجهودا كبيرا وازمانا طويلة دون ان يبلغ المريد غاية المعرفة.

فالمسار الاقصر والاسلم هو مسار علم الوعي - الايزوتيريك هو التقدم على المسارين في الوقت نفسه، شرط الانطلاق من الداخل الى الخارج... أي كلما تقدم المرء خطوة واحدة على درب معرفة نفسه انطلق خطوات في معرفة العالم من حوله... وهكذا تتابع الخطى حتى يتوصل الى معرفة نفسه كليا، باطنا وظاهرا... بذلك يكون قد بلغ قمة معرفة نفسه ومعرفة كل شيء في الوقت ذاته.

أما إن يدرس غير القسم الخارجي من نفسه، فلن يتمكن من معرفة غير القسم الخارجي من الاشياء... بمعنى حين يعي المرء قسما جديدا من نفسه، يكون قد وعى في كيانة وعياً جديداً لم يكن واعياً من قبل! الوعي الجديد سيخوله وعي الخارج لا الداخل. لأن وعي الداخل لا يتم عبر التعرف اليه، بل عبر اختباره... على عكس معرفة الخارج!

أ. حيان

(يتبع)